

مجلـــــــــــة

آداب الرافدين

علميّــــة محكّمــــة

فصليـــّـــة

تصــدر عن كليـــة الآداب

العـــدد: الرابع والسبعون

السنة: الثامنة والأَربعون

الموصـــــــــل

١٤٣٩هـــ / ٢٠١٨م

توجه المراسلات باسم رئيس هيئة التحرير

كلية الآداب / جامعة الموصل – جمهورية العراق

E-mail: adabarafidayn@gmail.com



آداب الرافدين

مجلة محكّمة تعنى بنشر البحوث العلمية الموثّقة في الآداب والعلوم الإنسانية باللغة العربية واللغات الأجنبيَّة

العدد: أربعة وسبعون	السنة: الثامنة والأربعون

قواعد النشر في المجلة

- يقدم البحث مطبوعاً بدقة، ويكتب عنوانه واسم كاتبه مقروناً بلقبه العلمي للانتفاع باللقب في الترتيب الداخلي لعدد النشر.
- تكون الطباعة القياسية بحسب المنظومة الآتية: (العنوان: بحرف ١٦/ المتن: بحرف ١٤/ الهوامش: بحرف ١٢)، ويكون عدد السطور في الصفحة الواحدة: (٢٧) سطراً تحت سطر ترويس الصفحة بالعنوان واسم الكاتب واسم المجلة، ورقم العدد وسنة النشر، وحين يزيد عدد الصفحات في الطبعة الأخيرة داخل المجلة على (٢٥) صفحة للبحوث الخالية من المصورات والخرائط والجداول وأعمال الترجمة، وتحقيق النصوص، و (٣٠) صفحة للبحوث المتضمنة للأشياء المشار إليها، تتقاضي هيئة التحرير مبلغ (٢٠٠٠) دينار عن كل صفحة زائدة فوق العددين المذكورين، فضلاً عن الرسوم المدفوعة عند تسليم البحث للنشر والحصول على ورقة القبول؛ لتغطية نفقات الخبرات العلمية والتحكيم والطباعة والإصدار .
- ترتب الهوامش أرقاماً لكل صفحة، ويعرّف بالمصدر والمرجع في مسرد الهوامش لدى وورد ذكره أول مرة، ويلغى ثبت (المصادر والمراجع) اكتفاءً بالتعريف في موضع الذكر الأول .
- يقدم الباحث تعهداً عند تقديم البحث يتضمن الإقرار بأنَّ البحث ليس مأخوذاً (كلاً أو بعضاً) بطريقة غير أصولية وغير موثقة من الرسائل والأطاريح الجامعية والدوريات، أو من المنشور المشاع على الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنت).
- يحال البحث إلى خبيرين يرشحانه للنشر بعد تدقيق رصانته العلمية، وتأكيد سلامته من النقل غير المشروع، ويحال – إن اختلف الخبيران – إلى (محكم) للفحص الأخير وترجيح جهة القبول أو الرد .
- لا ترد البحوث إلى أصحابها نشرت أو لم تنشر .
- يتعين على الباحث إعادة البحث مصححاً على هدي آراء الخبراء في مدة أقصاها (شهر واحد)، ويسقط حقه بأسبقية النشر بعد ذلك نتيجة للتأخير، ويكون تقديم البحث بصورته الأخيرة في نسخة ورقية وقرص مكتنز (CD) مصححاً تصحيحاً لغوياً وطباعياً متقناً، وتقع على الباحث مسؤولية ما يكون في بحثه من الأخطاء خلاف ذلك، وستخضع هيئة التحرير نسخ البحوث في كل عدد لقراءة لغوية شاملة أخرى، يقوم بها خبراء لغويون مختصون زيادة في الحيطة والحذر من الأغاليط والتصحيفات والتحريفات، مع تدقيق الملخصين المقدمين من جهة الباحث باللغة العربية أو بإحدى اللغات الأجنبية، وترجمة ما يلزم الترجمة من ذلك عند الضرورة .

((هيئة التحرير))

المحتويـــــــــات

العنـــــوان	الصفحــة
جماليات التواصل الكلامي في الحديث النبوي صحيح البخاري أنموذجاً أ.م.د. محمد ذنون يونس	١ – ٣٤
التجديد الأسلوبي في الخطاب الشعري عند ابن عبد ربه الأندلسي – (٢٤٦ – ٣٢٨ هـ) المحصات انموذجاً أ.م.د. مازن موفق صديق الخيرو و أ.م.د. غيداء أحمد سعدون	٣٥ – ٥٠
الثلاثيات القرآنية دراسة بلاغية ـ سورة البقرة إنموذجاً ـ أ.م.د. قاسم فتحي سليمان	٥١ – ٩٨
جماليات الأنساق الضدية في شعر ابن مُقبل أ.م.د.آن تحسين الجلبي	٩٩ – ١٢٨
شعر الشمردل اليربوعي دراسة إيقاعية أ.م.د. نهى محمد عمر و م.م. نور مخلف صالح	١٢٩ – ١٦٦
الترابط النحوي والتماسك النصي في أدعية النوم قوله (ﷺ) : (اللهم اسلمت نفسي .....) انموذجاً م.د.عبد الله خليف خضير الحياني	١٦٧ – ١٨٤
ديوان المعتمد بن عباد (دراسة في معجمه الشعري) م.د.فواز أحمد محمد صالح	١٨٥ – ٢٢٢
الحِجاج في بناء الجملة الاستفهامية في القرآن الكريم (نماذج تطبيقية) م.م.سعد موفق سعيد	٢٢٣ – ٢٤٤
اللغة الشعرية في شعر المتنبي م.م.طارق حسين علي النعيمي	٢٤٥ – ٢٦٤
وجوه مطالب التفسير في ضوء مقدمة جامع البيان للطبري أ.م.د. عبدالستار فاضل خضر النعيمي	٢٦٥ – ٢٩٦
مفهوم التسامح في المجتمعات المدنية على ضوء الفقه الإسلامي دراسة تحليلية أ.م.د. ميكائيل رشيد علي الزيباري	٢٩٧– ٣٢٠
أثـر الرؤيـة السيـاقية في دلالـة العـامِّ عند الإمـام الشـاطبـيِّ(٧٩٠هـ) م.د. عمار غانم محمد المولى	٣٢١– ٣٦٠

حماية الحيوان في القانون العراقي القديم أ.م.د. عبدالرحمن يونس عبدالرحمن الخطيب	٣٦١- ٣٨٠
انتشار الإسلام في بلاد ماوراء النهر أ.د. أحمد عبدالعزيز محمود	٣٨١- ٤٠٢
الحياة العلمية في بلاد القفقاس (ارمينية واذربيجان) حتى نهاية القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي أ.م.د.محمد عبدالله احمد و م.د. عماد كامل مرعي	٤٠٣ – ٤٣٤
مكانة الأحباش في السنة النبوية أ.م.د.بشار اكرم جميل	٤٣٥- ٤٥٠
التأمين الاجتماعي في بريطانيا ١٩٠٥–١٩٤٥ دراسة تاريخية أ.م.د. اياد علي الهاشمي	٤٥١- ٤٨٨
آراء ابن الجوزي في الشيخ الصوفي سري السقطي (ت٢٥٣هـ /٨٦٧م) أ.م.د. عبد القادر احمد يونس	٤٨٩- ٥١٠
مختصر كتب الوفيات في العصر المملوكي مخطوطة المنتهى في وفيات أولي النهى لابن حمزة الدمشقي (ت ٨٧٤ هـ/١٤٦٩ م(انموذجًا) أ.م.د. رائد أمير عبدالله الراشد	٥١١- ٥٥٠
عملية السلام في الشرق الأوسط ١٩٩١_١٩٩٣ وموقف الولايات المتحدة الامريكية منها م.د. محمود احمد خضر المعماري و م.د. عبد الرحمن جدوع سعيد التميمي	٥٥١- ٥٨٤
الحوليات السريانية مصدرا لدراسة تاريخ الموصل في فترة الاحتلال المغولي (تاريخ الزمان) لابن العبري أنموذجا(ت٦٨٥ هـ/ ١٢٨٦م) م.د.هدى ياسين يوسف الدباغ	٥٨٥- ٦١٤
إسهامات علماء حصن كيفا في الحركة العلمية من مطلع القرن السادس حتى أواخر القرن التاسع للهجرة/ الثاني عشر – الخامس عشر للميلاد م.د. نشوان محمد عبدالله م.د. قيس فتحي احمد	٦١٥- ٦٤٠
الأديب عفيف الدين علي بن عدلان الموصلي (ت٦٦٦هـ/١٢٦٧م) دراسة في سيرته العلمية م.د. حنان عبد الخالق علي السبعاوي	٦٤١- ٦٥٨

معوقات المرأة العاملة المتزوجة منذ عام ٢٠٠٣ دراسة ميدانية في معمل الألبسة الجاهزة / ولدي / في مدينة الموصل أ.م.د. جمعة جاسم خلف	٦٥٩- ٦٨٨
الاثار النفسية والاجتماعية للموضة (بحث ميداني في مدينة الموصل) م.ابتهال عبد الجواد كاظم	٦٨٩- ٧١٦
حقوق الانسان لدى ابرز مفكري العقد الاجتماعي دراسة اجتماعية – تحليلية م. ريم أيوب محمد	٧١٧- ٧٥٢
الثقافة الصحية للأسرة وأثرها على عملية التنمية الاجتماعية دراسة ميدانية في مدينة الموصل م. هناء جاسم السبعاوي	٧٥٣- ٧٨٦

الحِجاج في بناء الجملة الاستفهامية في القرآن الكريم

(نماذج تطبيقية)

م.م.سعد موفق سعيد*

تأريخ التقديم: ٢٠١٧/١١/٢٦　　　　　　　　　　تأريخ القبول: ٢٠١٨/١/٣

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من بعث رحمة للعالمين، محمد (ﷺ) وعلى اله المبجلين وصحبه الغر الميامين ومن سار على نهجه إلى يوم الدين، وبعد ...

فمما لا شك فيه إن القرآن الكريم هو مورد العلماء ومرجع الفصحاء والبلغاء في اللغة العربية، وان كل الدراسات وتسطع منه؛ كونه الإطار الأول والأخير لكل دراسة تختص في اللغة العربية وعلومها.

وكان سبب اختياري لدراسة الحجاج في القرآن الكريم هو حبي لكتاب الله تعالى وتعلقي به منذ أمد بعيد، ورغبتي في معرفة أسرار الاستفهام الوارد في أي الذكر الحكيم والآيات الوارد فيها أسلوب الحجاج، ومما لفت نظري ورود هذا الأسلوب في طيات السور القرآنية بتنوع وكثرة، لذلك ارتأيت دراسة هذا الموضوع على اختلاف وروده في الجمل الاسمية والفعلية.

أما أهم المصادر والمراجع التي اعتمدتها في كتابة هذا البحث فقد كانت متنوعة ومتعددة، منها التفاسير وكتب المعاجم والنحو، فمن التفاسير: (الكشاف) للزمخشري، و(التحرير والتنوير) لابن عاشور، ومن المعاجم: (مقاييس اللغة) لابن فارس، و(لسان العرب) لابن منظور، ومن كتب النحو: (الكتاب) لسيبويه، و(جامع الدروس العربية) لمصطفى الغلاييني.

أمّا أهم المعوقات والصعوبات التي واجهت بحثي هو المفهوم العام للحجاج في النص القرآني العام، إذ إن المفهوم له عدة معان بحسب السياق الذي ترد فيه كل آية قرآنية.

---

* مديرية تربية نينوى .

وختاما لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر والعرفان لكل من قدم لي يد العون والمساعدة؛ لإكمال هذا البحث على هذا الشكل، فان وفقت فهذا غاية المأمول وان كانت الأخرى فحسبي أني اجتهدت في إكمال البحث وما الكمال إلا لله وحده، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد (ﷺ) خير المرسلين وعلى اله وصحبه أجمعين.

التمهيد:

أولا: مفهوم الحجاج

الحجة لغة: " البرهان، وقيل: الحُجّة ما دوفع به الخصم، .... والتّحاج: التخاصم وجمع الحجة: حجج وحجاج، وحاجه محاجة وحجاجا: نازعه الحجة، وحجه يحجه حجا: غلبه على حجته.... والحجة: الدليل والبرهان " [1]، والحجاج: النزاع والخصام بواسطة الأدلة والبراهين وهو يرادف الجدل [2]، وقد ورد اللفظ في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ ﴾ سورة البقرة من الآية (٢٥٨)، وذكر ابن عاشور (ت١٢٨٤هـ) أنّ (مُحاججة) جاءت على زنة مُفاعلة، والحجاج في الاستعمال دال على وقوع الخصام، والحجة في كلام العرب: البرهان المصدق للدعوة مع إن (حاج) لا يستعمل إلا في معنى المخاصمة، وانّ الأغلب انه يفيد الخصام بباطل [3]، وعرّف ابن أبي الإصبع المصري (ت٦٥٤هـ) المذهب الكلامي بانه احتجاج المتكلم على ما يريد إثباته بحجة تقطع المعاند فيه على طريقة إرسال الكلام ومن نوع منطقي تستنتج فيه النتائج الصحيحة من المقدمات الصادقة [4]، و" حجّ عن الشيء يحج حجا: كف، واحتج على خصمه بحجة

١ لسان العرب: أبو الفضل محمد بن مكرم بن على جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ. ٢٢٨/٢.

٢ ينظر: م . ن ٢٢٨/٢.

٣ ينظر: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد (التحرير والتنوير): محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، د. ط، ١٩٨٤هـ.٣/٣١-٣٢.

٤ ينظر: بديع القرآن: ابن أبي الإصبع زكي الدين، تحقيق وتقديم: حقي محمد، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، الطبعة الاولى، ١٣٧٧هـ-١٩٨٨م. ١٩٣.

شهباء، وبحجج شهب، وحج العظم من الجرح: استخرجه، واحتج بالشيء: اتخذه حجة " [١]، وورد مصطلح الحجاج في المعجم الفلسفي بمعنى سلسلة من الأدلة تقتضي إلى نتيجة واحدة أو هي الطريقة التي تطرح بها الأدلة [٢].

والحجة اذاً: القصد من التوجيه للسامع لقصد التأثير فيه وإقناعه أو جعله يأتي عملا ما، فتكون الحجة جوابا عن سؤال أو وجهة نظر يجاب بها عن سؤال مقدر يستنتجه المتلقي، والقرآن الكريم خطاب يقتضي الاقتناع والتأثير، ولغة القرآن كل وحداتها ذات طاقة حجاجية، ومن هنا انطلقت الفكرة بمعالجة السياقات الاستفهامية.

ثانيا: مفهوم الاستفهام:

الاستفهام لغة: "علم الشيء " [٣]، والفهم: " معرفتك الشيء بالقلب،... فهمت الشيء: عقلته وعرفته، وفهمت فلانا وأفهمته، وتفهم الكلام: فهمه شيئا بعد شيء، ورجل فهم: سريع الفهم، ويقال: فهم وفهم، وأفهمه الأمر وفهمه إياه: جعله يفهمه، واستفهمه: سأله أن يفهمه، وقد استفهمني الشيء فأفهمته وفهمته تفهيما " [٤]، واصطلاحا: : " استعلام ما في ضمير المخاطب، وقيل: هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن، فإن كانت تلك الصورة وقوع نسبة بين الشيئين، أو لا وقوعها، فحصولها هو التصديق، وإلا فهو التصور" [٥]، فطلب حصول تصور المراد في ذهن المتكلم اقتضى أنْ يكون المراد غير حاصل في ذهن المتكلم وقت الطلب، فمدلول الفهم يعني حصول صورة المراد في النفسّ [٦].

---

١ معجم الأفعال المتعدية بحرف: موسى بن محمد بن الملياني الأحمدي، الطبعة الاولى، ١٣٩٧هـ. ٤٥.

٢ ينظر: المعجم الفلسفي: مراد وهبة، دار الكتب اللبنانية، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت. ٣٩٣.

٣ معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: د.عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د.ط، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م. ٤٥٧/٤.

٤ ينظر: لسان العرب ٤٩٥/١٢.

٥ التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة الاولى، ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م. ١٨.

٦ دلالات التراكيب دراسة بلاغية: د. محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م. ٢١٣.

ولمّا كان الإنكار لازما له وهو المقصود سياقه، عُبِّر عنه ببيانه انّه قد يدّعي القدرة على أمر تضعف قدرته عنه، فإذا أُستُفهِم عن ذلك فهو لا يدعي إثباته؛ مخافة أنْ يقال له افعلْ إنْ كنت صادقا فيفتضح إذ ذاك (١).

وقال الزمخشري (ت٥٣٨هـ): " من لم يؤت من سوء الفهم أتى من سوء الإفهام،.... ومن جزع من الاستبهام، فزع إلى الاستفهام " (٢)، ويتطلب الاستفهام إجابة؛ لانّ المستفهم يطلب ترسيخ الصورة في عقله والإجابة تكون حجة لإقناع المستفهم وتوضيح الأمر له، فهو تحكُّم الشاك في ثبات الأمر، لذا كان الاستفهام قريبا من النفي، وعدّتْ حركة المجيب سرا من أسرار مجال هذا الأسلوب والعدول إليه؛ لانّ الاستفهام في أصل وصفه يتطلب جوابا يحتاج إلى تفكير، ولمّا كان المسئول يجيب بعد تفكر، كان في توجيه السؤال إليه حملا على الإقرار (٣).

اسم الاستفهام:

هو " اسمٌ مُبْهَمٌ يُستعلَمُ به عن شيءٍ،... وأسماءُ الاستفهامِ هي مَنْ، ومَنْ ذا، وما، وماذا، ومتى، وأيّانَ، وأَينَ، وكيفَ، وأنّى، وكمْ، وأَيُّ " (٤)، أما حرفا الاستفهام فهما الهمزة وهل، والهمزة أعم تصرفاً من (هل)، وتجيء قبل (الواو) و(الفاء) و(ثم)، نحو قوله تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَـٰهَدُواْ عَهْدًا﴾ سورة البقرة من الآية (١٠٠)، وقوله تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ

١ ينظر: البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن: كمال الدين بن عبد الواحد الزملكاني (ت٦٥١هـ)، تحقيق: د.خديجة الحديثي ود.أحمد مطلوب، مطبعة العاني، بغداد، د.ط، د.ت. ١٧٧.

٢ اساس البلاغة: أبو القاسم جار الله محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري (ت٥٣٨هـ) تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م. ٣٨/٢.

٣ ينظر: المعاني في ضوء أساليب القرآن: عبد الفتاح لاشين، دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة، ١٩٧٨م. ١٨٣.

٤ جامع الدروس العربية: مصطفى بن محمد سليم الغلاييني (ت١٣٦٤هـ)، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الطبعة الثامنة والعشرون، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م. ١٣٩.

﴿ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ سورة هود من الآية (١٧)، وقوله تعالى: ﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ﴾ سورة يونس من الآية (٥١)، ولا تقع (هل) في هذه المواضع [1].

وذكر سيبويه (ت١٨٠هـ) أنّ (هل) بمعنى (قد)، إلا أنّهم وضعوا الألف قبلها؛ لأنها لا تجيء إلا في الإستفهام، وللإستفهام صدر الكلام، فلا يجوز أنْ يتقدم شيء في حيزه عليه [2].

واسماء الاستفهام هي:

١- (مَنْ ومَنْ ذا): ويُستفهَمُ بهما عن العاقل، نحو قال تعالى: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ ﴾ سورة البقرة من الآية (٢٤٥).

٢- (ما وماذا): يُستفَهمُ بهما عن غير العاقلِ من الحيوان والنبات والجماد، نحو قوله تعالى: ﴿ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ ﴾ سورة البقرة من الآية (٢٧٢).

٣- (متى): ويُستفهم به عن الزَّمانين الماضي والمُستقبل، نحو تعالى: ﴿ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ﴾ سورة البقرة من الآية (٢١٤).

٤- (أين): ويُستفهم بها عن المكان الذي وقع فيه الشيءُ، نحو كقوله تعالى: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ ﴾ سورة النساء من الآية (٧٨).

٥- (أيان): وهي بمعنى الوقت، وله معنى متى، ولها معنى الزَّمان المستقبل، كقوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴾ سورة الذاريات من الآية (١٢).

٦- (كيف): وهي اسمٌ لحالةِ الشيء، نحو قوله تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ ﴾ سورة البقرة من الآية (٢٨).

٧- (انّى): ولها عدة معانٍ، منها (مِنْ أينَ)، كقوله تعالى: ﴿ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ﴾ سورة ال عمران من الآية (٣٧)، أي: من أينَ لكِ هذا؟

١ المفصل في صنعة الإعراب: أبو القاسم جار الله محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، تحقيق: د.علي بو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م. ٤٣٧/٤٣٨.

٢ الكتاب: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي، الملقب سيبويه (ت١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الاولى، ١٩٧٥م. ١٨٧/٣.

٨- (كم): وهي اسم يُستعمل لمعرفة عَدَدٍ يُراد تعيينُه، كقوله تعالى: ﴿قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ﴾ سورة البقرة من الآية (٢٥٩).

٩- (أي): وتأتي لتعيينُ الشيءِ ، نحو قوله تعالى: ﴿أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ﴾ سورة التوبة من الآية (١٢٤) [١].

نماذج تطبيقية للحِجاج بأسلوب الاستفهام في القرآن الكريم:

١- قوله تعالى: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ سورة البقرة الآية (٤٤).

ورد الاستفهام في هذه الآية الكريمة بحرف الاستفهام (الهمزة)، وتحدث سيبويه عن زمن الفعل المضارع في الجملة الاستفهامية ذاكرا إنّ الفعل المضارع بعد الهمزة قد يدل على الحال، وانّها تصلح لإنكار الفعل الواقع في الحال؛ لأنّها ليست مُخصّصةٌ للمضارع بالاستقبال [٢]، وقد تحقّق بالاستفهام دلالات من هذا السياق في قوله تعالى: (أَتَأۡمُرُونَ)، فالهمزة هنا " للتقرير مع التوبيخ والتعجيب من حالهم " [٣]، وكان الأخيار يأمرون من نصحوه في السر من أقاربهم وغيرهم بإتباع محمد (ﷺ) ولا يتبعونه، وقيل: إنّهم كانوا يأمرونه بالصدقة ولا يتصدقون، وإذا أتوا بالصدقات ليفرقوها خانوا فيها، وآفة رجال الدين حين يصبح الدين عندهم حرفة أنّهم يأمرون بالخير ولا يفعلونه، ويدعون إلى الصلاح ويهملونه ويحرفون الكلم عن موضعه، ويجدون فتاوى قد تتفق في ظاهرها مع النص، لكنها تختلف عن حقيقة الدين؛ تبريرا لأهواء من يملك المادة والسلطة كما كان يفعل اليهود [٤].

---

١ ينظر: جامع الدروس العربية ١٣٩-١٤٥، والنحو الواضح في قواعد اللغة العربية: د.علي الجارم، د.مصطفى أمين، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، د.ت. ٤١٣/١.

٢ ينظر: الكتاب ١٠٨/١، وأساليب الطلب عند النحاة والبلاغيين: د. قيس إسماعيل الالوسي، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٨٨م. ٣١٢-٣١٣.

٣ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم جار الله محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ. ١٣٣/١.

٤ ينظر: في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت١٣٨٥هـ)، دار الشروق، بيروت، القاهرة، الطبعة السابعة عشر، ١٤١٢هـ. ٦٨/١.

وجاء قوله (ﷻ): (وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ) أي تتركوها من البر، و(ٱلۡكِتَٰبَ) هنا هو التوراة، وفيها نعت للنبي الكريم محمد (ﷺ) والوعيد على الخيانة وترك البر ومخالفة القول والعمل [١].

وذكر ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ) أنّ معنى قوله (ﷻ): (أَتَأۡمُرُونَ) أي " أَتَـأْمُرُونَ جَمِيعُ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ خُوطِبُوا مِنْ قَبْلُ، فَيَقْتَضِي أَنَّ هَذِهِ الْحَالَةَ ثَابِتَةٌ لِجَمِيعِهِمْ أَيْ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ تَجِدُهُ يُصَرِّحُ بِأَوَامِرِ دِينِهِمْ وَيُشِيعُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلَا يَمْتَثِلُهَا هُوَ فِي نَفْسِهِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَقْصُودُ بِهَذَا الْخِطَابِ فَرِيقًا مِنْهُمْ فَإِنَّ الْخِطَابَ الْمُوَجَّهَ لِلْجَمَاعَاتِ وَالْقَبَائِلِ يَأْخُذُ كُلُّ فَرِيقٍ مَا هُوَ حَظُّهُ مِنْ ذَلِكَ الْخِطَابِ، فَيَكُونُ الْمَقْصُودُ أَحْبَارَهُمْ وَعُلَمَاءَهُمْ وَهُمْ أَخَصُّ بِالْأَمْرِ بِالْبِرِّ " [٢]، فعلى الوجه الأول يكون المراد في هذه الاية الكريمة من الناس هم المشركين من العرب، فاليهود كانوا يذكرون لهم ما جاء به دينهم، وكان العرب يسمعون أقوالهم، امّا الوجه الثاني فيكون المراد من الناس هم امة اليهود، فكيف تأمرون أتباعكم بالبر وتنسون أنفسكم، وفيه تنديدٌ بحال أحبارهم بأنهم يعلمون أنّ ما جاء به الرسول (ﷺ) هو الحق، ويأمرون أتباعهم بالموعظة ولا يطلبون خلاص أنفسهم، فالاستفهام للتوبيخ هنا؛ لعدم استقامة هذه الجمل على الاستفهام الحقيقي، فأستخدم في التوبيخ مجازا بقرينة المقام وهو من المجاز المرسل؛ لأنّ التوبيخ يجب أنْ يلازم الاستفهام [٣].

أما قوله (ﷻ): (وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ) أي إنكم تغفلون عن حق أنفسكم وتعدلون أعمالها فيه من النفع [٤]، والنسيان هو السهو الواقع بعد العلم، وقد عبر به هنا؛ " زيادة في التنفير عن هذا الأمر الفظيع الذي دلّ العقل دلالة بينة على فحشه؛ لأنّ المقصود من أمر الغير بالبر النصيحة أو الشفقة، وليس من العقل أنْ يشفق الإنسان على غيره أو ينصح غيره وينسى نفسه، والظاهر أنّ المراد به حكم التوراة، كانوا يحملون عوامهم عليه وهم يعلمون دون العوام

---

١ ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ١/١٣٣.

٢ التحرير والتنوير ١/٤٧٤-٤٧٧.

٣ ينظر: م . ن ٤٧٧.

٤ ينظر: مفاتيح الغيب: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ. ٣/٤٨٧.

أنّ من حكم التوراة اتباع محمد (ﷺ)، فقد نسوا أنفسهم من الأمر بأساس البر الذي لا يصح منه شيء إلاّ به " [1].

وقوله (ﷻ): (وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ) فهو من التبكيت لهم والتقرير والتوبيخ لأجل المخاطبة، وقد نبههم (ﷻ) بقوله: (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) أي أنّ فيهم إدراكا شريفا يمنعهم من قبيح ما ارتكبوه من أمر غيرهم بالخير ونسيان أنفسهم، وهذه حالة من سلب العقل؛ فالعاقل ساعٍ في تحصيل ما فيه نجاته وخلاصه في البداية، ثم يسعى بعد ذلك في خلاص غيره في النهاية، فإذا قام الإنسان بتحصيل المصلحة والمنفعة لغيره ومنع ذلك لنفسه كان ذلك خارجا عن العقلاء، خصوصا في الأمور التي يرجى بسلوكها النجاة من عذاب الله والفوز بجنات الله [2].

٢- قوله تعالى: ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾سورة البقرة الآية (١٤٠).

ورد الاستفهام في هذه الآية الكريمة بحرف الاستفهام (الهمزة)، وقد تحقق بالاستفهام دلالاتٌ من هذا السياق في قوله تعالى: (ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ)؛ لان من خُوطب بهذا الكلام بادر إلى أنْ يقول: الله اعلم، فكان ذلك اقطع للنزاع، فقوله (ﷻ): (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ) يدلُّ على أنّهم كانوا عالمين بأنّ إبراهيم ومن معه كانوا مباينين لليهودية والنصرانية، لكنهم كتموا ذلك، ويراد بهذا الاستفهام: أنّهُ لا احدٌ اظلم ممن كتم الشهادة [3]، أمّا (أَمِ) المتصلة معادلة لقوله (ﷻ): (أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ)، فيكون قوله: (ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ) أمرا ثانيا لاحقٌ لقوله: (قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا) وليس هذا المحمل بمتعين؛ لأنّ في الالتفات مناصٌ من

---

١ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي البقاعي (ت٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ط، د.ت. ٣٣٦/١.

٢ ينظر: البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، د.ط ١٤٢٠هـ. ٢٩٥/١.

٣ ينظر: البحر المحيط ٦٦٢/١.

ذلك، أما معنى قوله: (ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُ) والتقدير: وقد أعلمنا الله أنّ إبراهيم لم يكون يهوديا ولا نصرانيا [١].

وفي قوله (ﷻ): (أَمۡ تَقُولُونَ) مسألتان:

الأولى: (أَمۡ تَقُولُونَ) المبدوءة بتاء المخاطبة، وكأنّه قال: أتحاجوننا؟ على انّه إخبار عن اليهود والنصارى، فعلى الوجه الأول فانه يحتمل أنْ تكون (أم) متصلة، والتقدير: أي الحجتين تتعلقون.

الثانية: إنّما أنكر تعالى قولهم عليهم لعدة وجوه:

أحدها: لأنّه (ﷺ) ثبتت بنبوته سائر المعجزات، فاخبر عن كذبهم في ذلك، فثبت كذبهم هذا.

وثانيها: هي شهادة التوراة والإنجيل على أنّ الأنبياء كانوا على دين التوحيد.

وثالثها: إنّ التوراة والإنجيل انزلا بعدهما.

ورابعها: إنّهم ادّعوا ذلك من غير حجة، فوبّخهم الله تعالى على الكلام في معرض الاستفهام على سبيل الإنكار [٢].

أما قوله (ﷻ): (وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ) يحتمل معنيين:

" أحدهما: أن أهل الكتاب لا أحد أظلم منهم، لأنهم كتموا هذه الشهادة وهم عالمون بها، والثاني: أنا لو كتمنا هذه الشهادة لم يكن أحد أظلم منا فلا نكتمها، وفيه تعريض بكتمانهم شهادة اللّه لمحمد (ﷺ) بالنبوّة في كتبهم وسائر شهاداته " [٣]، والتعريض: " الدَّلَالَةُ عَلَى الْمَعْنَى من طريق المفهوم، وسمي تعريضا؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى بِاعْتِبَارِهِ يُفْهَمُ مِنْ عُرْضِ اللَّفْظُ أَيْ مِنْ جَانِبِهِ " [٤].

---

١ ينظر: التحرير والتنوير ٧٤٧/١-٧٤٨.

٢ ينظر: مفاتيح الغيب ٧٧/٤.

٣ الكشاف ١٩٧/١.

٤ البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الاولى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م. ٣١١/٢.

وقوله (ﷻ): (بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ) ففيه إشعارٌ بصيغة المضارع بتماديهم بعد هذا كله عن سوء أعمالهم وتحذيرا من مثل ذلك [١] .

٣- قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴾ سورة المائدة الآية (١١٦).

ورد الاستفهام في الآية الكريمة بحرف الاستفهام (الهمزة)، وبنية الجملة المُركّبة تفيض بتركيبها للتعبير عن موقع مذهل، فهي تُعبّر بجلاء عن معنى ذهني أو حالة من حالات الشرك والكفر بطريقة الاستفهام؛ لأنه أبعث لحركة النفس، فقد ادّعى النصارى أنّهم يتّبعون أقوال عيسى (الْعَلَيْهِ) الذي أُلقي الاستفهام عليه أهو الذي قال لهم ذلك تعريضا بالإرهاب والوعيد [٢]، والاستفهام الإنكاري موجّه إلى النبي بأسلوب تعريضي؛ لما نُسبتْ إليه من أقوال، وخرج هذا الاستفهام عن معناه الحقيقي في طلب الفهم إلى معنى التقريع والفهم، فهو تقريع للنصارى على معتقدهم وتوبيخ، كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ سورة المائدة الآية (١١٩)؛ لأنّ الاستفهام كان هنا ذا فاعلية في المخاطب؛ كون المُستفهم عالم بكل الأمور، فبسؤاله (ﷻ) نبيه عن ما لم يتفوه به يجعل العقاب أشد؛ لأنّه يبدأ الصراع في داخل نفوسهم وهم كاذبون مدعون، والسؤال هنا يخاطب كلَّ عقلٍ فيستفزه؛ ليدرك جسامة الجرم الذي ارتكب من ادعى أنّ المسيح وأمه الآهان [٣]، فإذا أقر عيسى (الْعَلَيْهِ) بما يعلم وهو انّه ما قال ذلك، فقد انقطعت أوهام الذين ينسبون إليه أو ادعاؤه الألوهية وكذبهم إقراره (الْعَلَيْهِ) بما يعلم، فتقوم الحجة عليهم، إذ ليس المراد إظهار أنّ غير عيسى (الْعَلَيْهِ) قال هذا القول دونه، بل المتبادر بيان أنه لم يقله؛ تكذيبا للمدعين [٤]، فيقول: (سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ

١ ينظر: نظم الدرر ١٩٧/٢-١٩٨.

٢ ينظر: التحرير والتنوير ١١٣/٧.

٣ ينظر: دلالات التراكيب ٥٩٠.

٤ ينظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: بهاء الدين السبكي (ت٧٧٣هـ)، مطبعة عيسى الحلبي وشركاؤه، القاهرة، مصر، د.ت، د.ط. ٢٩٨/٢.

أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥ)، أي " سُبْحانَكَ من أنْ يكون لك شريك، ما يَكُونُ لِي ما ينبغي لي أَنْ أَقُولَ قولا لا يحق لي أن أقوله فِي نَفْسِي في قلبي، والمعنى: تعلم معلومي ولا أعلم معلومك، ولكنه سلك بالكلام طريق المشاكلة وهو من فصيح الكلام وبينه "[١]، ولمّا كان قصد الله تعالى من توجيه السؤال إلى عيسى (عليه السلام) التوبيخ للكفار وهو يوجهه على رؤوس الملأ؛ ليعلم الكفار أنّهم كانوا على باطل، فكان إنكاره (عليه السلام) بعد السؤال أبلغ في التوكيد وأشد في التوبيخ والتقريع [٢].

وقوله (سبحانه وتعالى): (إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَ)، فهذه الجملة دليلٌ وحجةٌ لمضمون الجملة التي قبلها، فبعد أنْ تبرأ (عليه السلام) من أنْ يكون آمراً فيه بما اختلفوه، انتقل فبيّن أنّه أمرهم بعكس ذلك حسبما أمره الله تعالى، فقال: (مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ)، فقوله: (مَا قُلۡتُ لَهُمۡ) هو ارتقاء في الجواب، فهنا لم يصرح بما قال؛ لأنّ الاستفهام عن مقالة، والمعنى: ما تجاوزت فيما قلت حد التبليغ ما أمرتني به [٣].

وقد تحققت بالاستفهام دلالات من هذا السياق في قوله (سبحانه وتعالى): (وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ) عطف على قوله: (إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ)، فهو ما يقوله الله يوم يجمع الرسل وليس مما قاله في الدنيا، ولقوله: (هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡ)، فقد اجمع المفسرون على أنّ المراد به هو يوم القيامة [٤].

وفي قوله (سبحانه وتعالى): (ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ) سؤالان:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ الِاسْتِفْهَامَ كَيْفَ يَلِيقُ بِالله تعالى؟

وَثَانِيهِمَا: أَنَّهُ (سبحانه وتعالى) كَانَ عَالِمًا بِأَنَّ عِيسَى (عليه السلام) لَمْ يَقُلْ ذَلِكَ فَلِمَ خَاطَبَهُ؟

---

١ ينظر: الكشاف ٦٩٤/١.

٢ ينظر: الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد الأنصاري، شمس الدين القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م. ٢٠١/٨، وصفوة التفاسير: محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م. ٣٨٤/١.

٣ ينظر: التحرير والتنوير ١١٣/٧.

٤ ينظر: م . ن ١١٤/٧.

فَإِنْ قُلْنا: انّ الْغَرَض مِنْهُ هو لتَوْبِيخُ النَّصَارَى وَتَقْرِيعُهُمْ، فَنَقُولُ: لَمْ يَذْهَبْ أَحَدٌ مِنَ النَّصَارَى إِلَى الْقَوْلِ بِإِلَهِيَّةِ عِيسَى مَعَ الْقَوْلِ بِنَفْيِ إِلَهِيَّةِ اللَّه (ﷻ)، فَكَيْفَ يَجُوزُ اذاً أَنْ يُنْسَبَ هَذَا الْقَوْلُ إِلَيْهِمْ مَعَ أَنَّ أَحَدًا لَمْ يَقُلْ بِهِ؟

وجَوَابُ السُّؤَال الْأَوَّل أَنَّهُ اسْتِفْهَامٌ انكَارِي، وَجَوَابُ السُّؤَال الثَّانِي أَنَّ الله هُوَ الْخَالِقُ، وَالنَّصَارَى يَعْتَقِدُونَ أَنَّ الخَالِقَ للْمُعْجِزَاتِ الَّتِي ظَهَرَتْ عَلَى يَدِ عِيسَى هُوَ عِيسَى (عليه السلام) وَمَرْيَمُ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَان النَّصَارَى قَالُوا إِنَّ الخَالِقَ لتِلْكَ الْمُعْجِزَاتِ هُوَ عِيسَى وَمَرْيَمُ واللَّه لَيْسَ خَالِقَهَا، فَصَحَّ عليهم أَنَّهُمْ أَثْبَتُوا فِي حَقِّ بَعْضِ الْأَشْيَاءِ؛ كَوْنَ عِيسَى وَمَرْيَمَ إِلَهَيْنِ لَهُ مَعَ أَنَّه تَعَالَى لَيْسَ إِلَهًا لَهُ، فَصَحَّ بِهَذَا التَّأْوِيلِ هَذِهِ الْحِكَايَةُ [١].

وأمّا قوله (ﷻ): (وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ) هو تقريعٌ للنصارى بعد أنْ فرغ تعالى من تقريع اليهود من قوله (ﷻ): (إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ)، وتقريع النصارى هو المقصود من هذه الآيات عند قوله تعالى: (يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ)، فالاستفهام هنا كالاستفهام في قوله (ﷻ) للرسل (مَاذَآ أُجِبْتُمْ)، فالله تعالى يعلم أنّ عيسى (عليه السلام) لم يقلْ ذلك، ولكن أُريد إعلانُ الكذب لمن كفر من النصارى [٢].

أما قوله (ﷻ): (سُبْحَـٰنَكَ)، فقد فُسِّر في قوله (ﷻ): (سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ)، ولْنعلم أنّ الله تعالى لمّا سال عيسى (عليه السلام) هل قلت كذا، لم يقل (عليه السلام) بأنّي قلت أو ما قلت، بل قال: ما يكن لي أنّ أقول ما ليس لي بحق ، فهو تنزيهٌ لك [٣]، وذكر أبو حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ) أنّه " لَمَّا سَمِعَ عِيسَى هَذَا الْمَقَالَ ارْتَعَدَتْ مَفَاصِلُهُ وَانْفَجَرَتْ مِنْ أَصْلِ كُلِّ شَعْرَةٍ عَيْنٌ مِنْ دَمٍ، فَقَالَ عِنْدَ ذَلِكَ مُجِيبًا لِلَّهِ تَعَالَى: (سُبْحَـٰنَكَ)؛ تَنْزِيهًا وَتَعْظِيمًا لَكَ وَبَرَاءَةً لَكَ مِنَ السُّوءِ " [٤]، ولمّا بيّن (عليه السلام) انه ليس له أنْ يقول هذا الكلام " شَرَعَ فِي بَيَانِ أَنَّهُ هَلْ وَقَعَ هَذَا الْقَوْلُ مِنْهُ أَمْ لَا، فَلَمْ يَقُلْ بِأَنِّي مَا قُلْتُ هَذَا الْكَلَامَ؛ لِأَنَّ هَذَا يَجْرِي مَجْرَى دَعْوَى

---

١ ينظر: مفاتيح الغيب ٤٦٥/١٢.
٢ ينظر: التحرير والتنوير ١١٢/٧.
٣ ينظر: مفاتيح الغيب ٤٦٥/١٢.
٤ البحر المحيط ٦٣/٤.

الطَّهَارَةِ وَالنَّزَاهَةِ، وَالْمَقَامُ مَقَامُ الْخُضُوعِ وَالتَّوَاضُعِ، وَلَمْ يَقُلْ بِأَنِّي قُلْتُهُ، بَلْ فَوَّضَ ذَلِكَ إِلَى عِلْمِهِ الْمُحِيطِ بِالْكُلِّ [١].

٤ – قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴾ سورة الكهف الآية (٥٧).

ورد الاستفهام في هذه الآية الكريمة بحرف الاستفهام (منْ)، وذهب ابن فارس إلى أنّ ظاهر الحرف جاء لمعنى الاستخبار والمعنى فيه النفي بـ(من) الاستفهامية التي تأتي بمعنى النفي [٢]، وقد تحقق بالاستفهام دلالات من هذا السياق، والقرآن الكريم لمّا تحدّث عن الكفار وجدالهم بالباطل وصفهم بصفات موجبة للخزي والخذلان، والصفة الثابتة هي قوله (ﷻ): (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ)، أي لا ظلم أعظمُ من كفر من ترد عليه الآيات والبينات فيعرض عنها وينسى ما قدمت يداه من الأعمال المنكرة والمذاهب الباطلة، والمراد من النسيان هو التشاغل والتغافل من كفره المتقدم [٣]، وذكر البقاعي (ت ٨٨٥هـ) أنّه " لمّا حُكي عنهم هذا الجدال والاستهزاء والضلال، وصفهم بما يوجب الخزي فقال – عاطفاً على ما تقديره (فكانوا بذلك أظلم الظالمين): (وَمَنْ أَظْلَمُ) – استفهاماً على سبيل التقرير، ولكنه أظهر للتنبيه على الوصف الموجب للإنكار على من شك في أنّهم أظلم، فقال تعالى: (وَمَنْ أَظْلَمُ) أي من أيّ مذكر كان " [٤].

وذكر تعالى (ﷻ) في هذه الآية الكريمة أنّ من " أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآياتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْها وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَداهُ مُتَمَسِّكُ الْقَدَرِيَّةِ، وَقَوْلَهُ (ﷻ): (إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ

١ مفاتيح الغيب ١٢/٤٦٥-٤٦٦.

٢ ينظر: الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (ت٣٩٥هـ)، حققه وقدَّم له: مصطفى الشويمي، مؤسسة بدران للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د.ط، ١٣٨٢هـ -١٩٦٣م. ١٣٨.

٣ ينظر: مفاتيح الغيب ٢١/٤٧٦.

٤ نظم الدرر١٢/٩٠ – ٩١.

) الَى آخِرِ الْآيَةِ مُتَمَسَّكُ الْجَبْرِيَّةِ وَقَلَّمَا نَجِدُ فِي الْقُرْآنِ آيَةً لِأَحَدِ هَذَيْنِ الْفَرِيقَيْنِ إِلَّا وَمَعَهَا آيَةٌ لِلْفَرِيقِ الْآخَرِ، ... وَمَا ذَاكَ إِلَّا امْتِحَانٌ شَدِيدٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَلْقَاهُ عَلَى عِبَادِهِ لِيَتَمَيَّزَ الْعُلَمَاءُ الرَّاسِخُونَ مِنَ الْمُقَلِّدِينَ " [١].

ورأى ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ) أنه لمّا تبيّن حال الكفار من مجادلة الرسل والنبيين بسوء نية، ومن استهزائهم بالإنذار، اتبع (ﷻ) ذلك بأنّه اشدُّ الظلم؛ لأنّه ظلم المرء لنفسه وهو أعجب الظلم، فالذين ذُكِّروا ما هم في غفلة عنه تذكيرا بواسطة آياته (ﷻ) وما اعرضوا عن التأمل فيها، مع أنّهم تنذرهم بسوء العاقبة، وشأن العاقل إذا سمع مثل ذلك أنْ يتأهب ويأخذ الحيطة والحذر، وجاءت (من) المجرورة الموصولة غير خاصة بشخص معين؛ بقرينة قوله (ﷻ): (إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً)، والمراد بها: مشركو العرب الذين ذُكِّروا بالقرآن فاعرضوا عنه، وعطف إعراضهم على الذكر على التذكير بفاء التعقيب؛ إشارة إلى أنّهم قد سارعوا بالإعراض، و(من) الاستفهامية مستعملة في الإنكار، أي لا احد اظلم من هؤلاء المحكي عنهم [٢]، وجاء قوله (ﷻ): (فَأَعْرَضَ عَنْهَا) بمعنى أنه لم يتذكر حين ذُكِّر، ولم يتدبر ونسي عاقبة (مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ) من الكفر والمعصية غير آبهٍ فيها ولا ناظر في أنّ المسيء والمحسن لا بد لهما من حساب [٣].

٥ – قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴾ سورة الفرقان الآية ١٧.

ورد الاستفهام في هذه الآية الكريمة بـ(الهمزة)، وقدْ تحقّق بالاستفهام دلالاتٌ من هذا السياق في قوله تعالى: (وَيَوْمَ)، أي قلْ لهم ما أمرتك به، وأذكرْ لهم يومَ نحشر المشركين بما لنا من العظمة، ونحشر معكم ما تعبدون من ملائكةٍ وجنٍ وأنسٍ وغيرهم ممن يعقل ولا يعقل، وقد نبّه تعالى على سفول رتبتهم في ذلك اليوم وعدم أهليّتهم؛ بدليل قوله تعالى: (مِن

---

١ مفاتيح الغيب ٤٧٦/٢١.

٢ ينظر: التحرير والتنوير ٣٥٤/١٥.

٣ ينظر: نظم الدرر ٣٦٠/١٤.

دُونِ ٱللَّهِ)، فهو الملك الاعلى الذي لا كُفء له [١]، وخصّ (ﷻ) ذلك اليوم بالذكر؛ لأنّه لمّا توعدهم بالسعير وما سيلاقون من هوله بيّن لهم حالهم في الحشر مع أصنامهم، وهذا منظرٌ من مناظر الرعب في المحشر، فهم يشاهدون خيبة آمالهم في آلهتهم، إذْ يرون حقارتها بين يدي الله وتبرؤها من عبادها وشهادتها عليهم بكفر نعمة الله واعراضهم عن القرآن، ويسمعون تكذيب من عبدوهم من العقلاء من الملائكة وعيسى (عليه السلام) والجن وغيرهم [٢].

وجاء قوله (ﷻ): (وَمَا يَعۡبُدُونَ) كما رأى البقاعي (ت٨٨٥هـ) مبدوءً بـ(ما)؛ " للإشارة بأنّ ناطقها وصامتها جمادٌ بل عدمٌ بالنسبة إليه سبحانه بما أشار إليه التعبير بالاسم الأعظم الدال على جميع الكمال، مع أنّ (ما) موضوعٌ على العموم للعقلاء وغيرهم وإنْ كان أكثر استعماله في غير العقلاء،... وضلال العبد معروف لا يُسأل عنه " [٣].

وجاء الخطاب الإلهي في قوله (ﷻ) : (ءَأَنتُمۡ أَضۡلَلۡتُمۡ عِبَادِي هَٰٓؤُلَآءِ أَمۡ هُمۡ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ) بصيغة الاسْتِئْنَاف الابْتِدَائِيّ، وَالِاسْتِفْهَامُ تَقْرِيرِيٌّ لِلِاسْتِنْطَاقِ وَالِاسْتِشْهَادِ، إِذِ الْمَعْنَى: أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمُوهُمْ أَمْ ضَلُّوا وحدهم؛ لتَقَوِّيَة الْحُكْمِ الْمُقَرَّرِ بِهِ، وَالْمُجِيبُونَ هُمُ الْعُقَلَاءُ الْمَعْبُودِونَ من الْمَلَائِكَةِ وَعِيسَى (عليه السلام) وغيرهم [٤].

ورأى ابن عاشور إنّ عَلَى الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ هددتْهُمُ الْآيَةُ بِالْوَعِيدِ، وَهُم ومن وصْفُهُمْ تعالى بِالظَّالِمِينَ وأخبر عَنْهُمْ، هم الْمُشْرِكِونَ الْمَوْجُودِونَ وَقْتَ نُزُولِ الْآيَةِ، وَمَنِ مات مِنْهُمْ بَعْدَ نشر الدَّعْوَةِ وَمَنْ سَيَأْتِي بَعْدَهُمْ مِنَ كل الْكافرين [٥]، وذكر أبو حيان الأندلسي أنّ الْأَصْنَام الَّتِي لَا تَعْقِلُ " يُقْدِرُهَا اللَّهُ عَلَى هَذِهِ الْمَقَالَةِ مِنَ الْجَوَابِ،... وَقَالَ الْجُمْهُورُ: مَنْ عُبِدَ مِمَّنْ يَعْقِلُ مِمَّنْ لَمْ يَأْمُرْ بِعِبَادَتِهِ كَالْمَلَائِكَةِ وَعِيسَى وَعُزَيْرٍ وَهُوَ الْأَظْهَرُ كَقَوْلِهِ أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ وَمَا بَعْدَهُ مِنَ الْمُحَاوَرَةِ الَّتِي ظَاهِرُهَا أَنَّهَا لَا تَصْدُرُ إِلَّا مِنَ الْعُقَلَاءِ " [٦].

---

١ ينظر: التحرير والتنوير ٣٣٦/١٨.
٢ ينظر: نظم الدرر ٣٦٠/١٤.
٣ نظم الدرر ٣٦٠/١٤.
٤ ينظر: نظم الدرر ٣٣٨/١٨.
٥ ينظر: التحرير والتنوير ٣٣٦/١٨.
٦ البحر المحيط ٩٠/٨.

ورأى الزمخشري (ت٥٣٨هـ) أنّ هناك ثلاث أسئلة موجودة على النص يجب أنّ تُسأل:

الْأَوَّلُ: مَا هي فَائِدَةُ أَنْتُمْ وَهُمْ؟ وَما الفرق بين (أَضۡلَلۡتُمۡ عِبَادِي هَٰٓؤُلَآءِ أَمۡ هُمۡ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ)؟

فنقول: لَيْسَ السُّؤَالُ عَنِ الْفِعْلِ، وَإِنَّمَا هُوَ عَنْ فَاعِلِهِ الذي لَا بُدَّ مِنْ ذِكْرِهِ مع حرف الاستفهام حتى يُعلم أنّهُ المسؤول عَنْهُ.

والثَّانِي: أَنَّهُ تعالى عَالِم في بحال المسؤول عَنْهُ فَمَا فَائِدَةُ السُّؤَالِ؟

فنقول: هَذَا اسْتِفْهَامٌ عَلَى سَبِيلِ التَّقْرِيعِ لِلْمُشْرِكِينَ؛ لِأَنَّ الْمَعْبُودِينَ لَمَّا بَرَّءُوا أَنْفُسَهُمْ صَارَ تَبَرُّؤُ الْمَعْبُودِينَ عَنْهُمْ أَشَدَّ.

والثَّالِثُ: لماذا قال (ﷻ): (أَمۡ هُمۡ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ) ولم يقل (ضَلَّ عَنِ السَّبِيلِ)؟

فنقول: لأنّ الْإِنْسَانَ إِذَا كَانَ مُتَنَاهِيًا فِي التَّفْرِيطِ، فيُقَالُ (ضَلَّ السَّبِيلَ) [1].

٦ – قوله تعالى : ﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ سورة يس الآية (٢٢).

ورد الاستفهام في هذه الآية الكريمة بحرف الاستفهام (ما)، وفي هذه الآية الكريمة يصور القرآن الكريم النماذج البشرية المتنوعة من خلال أسلوب الحوار التعريضي، كاشفا الملامح الأصيلة التي تميّزهم وتشير إليهم في كل زمان ومكان، فنلحظ أنّ القرآن الكريم يتناول كل تلك الجزئيات بالتفصيل؛ ليعبر عن محتوى عقلي وفكري ونفسي من خلال وجودها الحي وتفاعلها مع من حولها، فالاستفهام هنا إنكاري بصيغة (ما) الاستفهامية وشبه الجملة و(لا) النافية الداخلة على الفعل المضارع (أَعۡبُدُ)، فيكون حاصل المعنى: أيُّ شيء يمنعني من عبادة الذي خلقني، فكأنّ الرجل يقول: وما لي لا اعبد وما لكم لا تعبدون الذي فطركم بقرينة قوله (ﷻ): (وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ) [2]، ولولا أنّ العبارة ترمي إلى معنى آخر غير ما يشير إليه ظاهر لفظها لكان حق القول: واليه ارجع، والسياق هنا يُنبئنا كون هذا الرجل قد تملّكه التّعجّب من صدور مثل هذا الفعل، فصدّر قوله هذا بالاستفهام الإنكاري، فهو ينكر على نفسه عدم عبادته ومن يستحق العبادة إلى ما لا ينفع ولا يضر، فبدأها بإنكار صدور

---

١ ينظر: مفاتيح الغيب ٣٤٢/٢٤-٣٤٣.

٢ ينظر: الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د . ط، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م. ١٦٥/٣.

هذا الفعل من نفسه؛ ليكون مسوِّغاً له في إنكاره على من يصدر منه هذا الفعل [١]، فبدأ بنفسه وكأنّه صاحب الخطأ؛ ليلومها على الرغم من أنّ المعنى بالقول هم قومه الذين انتقدهم على عبادتهم للأصنام ومكابرتهم وعنادهم؛ تحاشياً لما سيبدر عنهم من الدفاع عن ما هم فيه، إلا انّه وبهذه الوسيلة أراد إرجاعهم إلى أنفسهم ليتفكروا، فابرز لهم خطأ معتقدهم وسوء تفكيرهم على وجه لا يثير غضبهم، وهذا التعريض لهو طريقة من طرق الدلالة على حسن إخلاف المتكلم وتواضعه حين لا يريد لهم إلا ما يريد لنفسه[٢].

وقد تحقّق بهذا الاستفهام في هذا الموضع دلالات من هذا السياق، اذِ التقدير: وأي شيء لي في أنْ (لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي)، " وفيه تنبيهٌ لهم على موجب الشكر، وتهديدٌ على ارتكاب الكفر، ولما أمر صريحاً ونهى تلويحاً، ورغّب ورهّب، ووبّخ وقرّع، وبيّن جلالة من آمن به ومن كانوا سبباً في ذلك، أنكر على من يفعل غيره بالإنكار على نفسه، محقراً لمن عبدوه من دون الله وهو غارقون في نعمه " [٣]، ولولا أنّهُ قصد ذلك لقال الذي فطرني واليه ارجع [٤]، لكنه قصد إشعارهم بأنّه اتَّبع المرسلين وخلع عبادة الأوثان وابرز الكلام في صورة الاستفهام الإنكاري، والمتكلم في الرد على من أنكر عليه هذا الخبر مُستعمَلٌ، فكأنّه يقول: وما لكم لا تعبدون الذي فطركم؛ بقرينة قوله (ﷻ): (وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ)[٥] ، ولمّا قال الرجل: (وَمَا لِيَ) أي لا يخفى عليه حال نفسه، فهو عالمٌ بكل واحد أنّهُ لا يطلب العلة وبيانها من أحد؛ لأنه أحدٌ بحال نفسه، فهو يُبيِّنُ عدم المانع، فلو قال: (مَّا لَكُمۡ) لأجاز أنْ يُفْهمَ منه أنْ يطلب بيان لعلة؛ كون غيره اعلم بحال نفسه، ولو قيل: قال الله (ﷻ): ﴿ مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ فنقول: هناك غيرُ مدعوٍ، وإنّما هو داعٍ، وهنا الرجل مدعوٌ إلى الإيمان، فقال (ﷻ): (وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ)[٦].

---

١ ينظر: البرهان في علوم القرآن ٣١٣/٢.

٢ نظم الدرر ١١١/١٦.

٣ ينظر: الكشاف ١٠/٤.

٤ ينظر: التحرير والتنوير ٣٦٨/٢٢.

٥ ينظر: مفاتيح الغيب ٣٢٧/٢٦.

٦ ينظر: الكتاب ١٠٨/١، وأساليب الطلب عند النحاة والبلاغيين ٣١٢-٣١٣.

٧ – قوله تعالى: ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ﴾ سورة يس الآية (٢٣).

ورد الاستفهام في هذه الآية الكريمة بحرف الاستفهام (الهمزة)، وقد تحدّث سيبويه عن زمن الفعل المضارع في الجملة الاستفهامية، فذكر أنّ الفعل المضارع بعد الهمزة قد يدل على الحال، وأنّه يصلح لإنكار الفعل الواقع في الحال؛ لأنّه ليس مخصصاً للمضارع إلا بالاستقبال [١]، وقد تحقق بالاستفهام دلالات من هذا السياق في قوله (ﷻ): (ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً)، إذ أنها جملةٌ مستأنفةٌ استئنافاً بيانياً؛ لاستشعار سؤالٍ عن وقوع الانتفاع لشفاعة تلك الآلهة عند الذي فطره، والاستفهامُ هنا إنكاريٌّ، أي إنكارٌ على نفسي أنْ اتخذَ من دونه آلهة، إذِ المعنى: لا أتخذُ آلهةً، وذلك من تمام التعريض بالمخاطبين أنّهم جعلوا الأوثان آلهة، وهي ليست بآلهة؛ لأنّ الإله الحق لا يُجعل جعلاً، لكنه مستحقُ الألوهية بالذات، ووصف الآلهة المزعومة المفروضة الاتخاذ بجملة الشرط بقوله (ﷻ): (إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ) وقال (ﷻ): (إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ) ولم يقل: إنْ يرد الرحمن به ضراً [٢]، وكذلك قوله (ﷻ): (إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ) ولم يقلْ: إنْ أراد الله به ضراً، والمقصود: بيان كون العبد تحت تصرفه تعالى يقلبه كيف يشاء في البؤس والرخاء، وكذا في قوله (ﷻ): (إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ)، فالمقصود بيان أنْ يكون كما يريد الله، وليس الضر بخصوصية مقصودا بالذكر، وأيضا المقصود بذكر الضر للتخويف [٣]، وقوله (ﷻ): (إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ) ثم قال (ﷻ): (لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ) على الترتيب، فلا يقدرون على إنقاذي بوجه من الوجوه، وفي هذه الآيات الكريمة حصل بيانٌ أنّ الله (ﷻ) معبودٌ من كل وجهٍ إنْ كان ناظراً إلى جانبه فهو فاطرٌ وربٌ مالكٌ يستحق العبادة سواء أحسن بعد ذلك أو لم يحسن [٤]، وإنْ أرادكم الله

---

١ ينظر: جامع الدروس العربية ١٣٩–١٤٥.
٢ ينظر: التحرير والتنوير ٣٦٨/٢٢.
٣ ينظر: مفاتيح الغيب ٢٦٦/٢٦.
٤ ينظر: التحرير والتنوير ٣٦٨/٢٢.

بضرٍ وشفع أحدٌ لكم لم تنفع شفاعتهم ولا يقدرون على إنقاذكم فيه؛ لانتفاء الجاه عن كون شفاعتهم لا تنفع وانتفاء القدرة، فعُبِّر بانتفاء الإنقاذ عنه إذ هو نتيجته [١].

وقد حذّر (ﷻ) المشركين بقوله: (بِضُرٍّ) وأبطل ما يعتقدون فيه بقوله: (لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمْ) أي أنّ كلَّ احدٍ مثلي في هذا، ولو فُرِضَ أنّهم شفعوا لكنَّ شفاعتهم لا تُوجِد شيئاً من اغناء، وقوله (ﷻ): (وَلَا يُنقِذُونِ) أي: من مصيبة إنْ دعا الأمر إلى المشاققة [٢].

وقد ساق (ﷻ) ذلك المساق فقال: (إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ) أي: " فاسمعوا قولي وأطيعونى، فقد نبهتكم على الصحيح الذي لا معدل عنه أنّ العبادة لا تصح إلا لمن منه مبتدؤكم وإليه مرجعكم، وما أدفع العقول وأنكرها لأن تستحبوا على عبادته عبادة أشياء إن أرادكم هو بضر وشفع لكم هؤلاء لم تنفع شفاعتهم ولم يمكنوا من أن يكونوا شفعاء عنده، ولم يقدروا على إنقاذكم منه بوجه من الوجوه، إنكم في هذا الاستحباب لواقعون في ضلال ظاهر بين لا يخفى على ذى عقل وتمييز " [٣].

١ ينظر: البحر المحيط ٥٧/٩.

٢ ينظر: نظم الدرر ١١٢/١٦.

٣ الكشاف ١٠/٤-١١.

الخاتمة:

وإذا كان لكل بحث من خاتمة تلخّص النتائج التي انتهى إليها، فإن تلك النتائج التي تتعلق بهذا البحث هي:

١- يعتمد النص القرآني في التأثير بالمخاطب إلى إقامة حوار مع المخاطب، وهذه الصفة تتحقق في اكبر جوانبها بالاستفهام الذي يحقق الاستجابة من خلال تحريكه أمر ما في ذهن المخاطب، فهي حركة اخذ وعطاء وفعل ورد للفعل.

٢- تنوعت السياقات التي جاء فيها الاستفهام، فمنه ما جاء حقيقيا يطلب به الإجابة للانتقال من حالة الجهل إلى حالة المعرفة، ومنه ما يخرج إلى معان أُخر غير طلب الفهم، أي انه يخرج إلى التوبيخ أو الإنكار أو التعجب.

٣- أسلوب الاستفهام يحقق عنصر المشاركة الذي يحصل بين المتكلم والمخاطب، وهذا أسلوب طلبي يظهر فيه الجدل ومحاولة الإقناع، وقد كانت أساليب الحجاج والاستفهام تعالج أفكار التوحيد وعبادة الله تعالى وحده والدعوة من اجل معرفة أنّ مصدر الوحي ومرجعية الرسل يرجع إلى رسالة واحدة تدعو إلى التوحيد، وختمت هذه الرسالات السماوية بالدين الإسلامي.

٤- حقق الاستفهام انعكاسات تؤكد ضآلة عقول المشركين والكفار، إذْ توضّح موقفهم المتردي وجدلهم الغير مجدي وأفكارهم ومعتقداتهم المتخلفة وموقفهم الضعيف وحججهم الواهية.

٥- في الحجاج الذي هو إلزام المقابل وإقناعه بأمر فيه شك، تتيح النصوص القرآنية في معظم سياقاتها للمقابل أو المخاطب بأن يبني الحجة بنفسه انطلاقا من الكلام المعروض عليه، فالنص القرآني يبني مفاهيم جديدة ويهدم مفاهيم قديمة، ويجدد ويغير من خلال ألفاظه وتراكيبه وصوره.

٦- تنوع اتجاه الاستفهام في سياقات الحجاج بين خطاب الأنبياء للأقوام الذين أُرسلوا إليهم وبين خطاب الرسل لأنفسهم من باب إثبات الحجة على الخصم وبين الأقوام المؤمنة والكافرة فيما بينها، فضلا عن تنوع أدوات الاستفهام بين (الهمزة ومن ومتى وما)، إلا

أنّ اغلب النماذج اعتمدت في بناء استفهاماتها على الهمزة، وقد يحدد ذلك إلى أنها ابرز الأدوات، ولها القدرة على تحريك ذهن المخاطب واستفزاز المعارض.

٧- كشفتِ الدراسة أنَّ استعمال القرآن الكريم للجملة الفعلية دالٌ على التجدد والاستمرار، واستعماله للجملة الاسمية دالٌ على الثبوت والاستقرار، وجاء مراعاة للمعنى المراد في كل سياق، وقد طرأ على كلتا الجملتين عوارض بنيوية مختلفة لأغراض دلالية متعددة، وما ذلك إلا لأغراض سياقية تتعلق بترتيب المعاني عند المتكلم، فضلاً عن مراعاة مقتضى حال المخاطب وملابسات الخطاب .

وهذه نتائج البحث، أختمها بحمدِ الله، والصلاة على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الغُرِّ الميامين، والحمد لله ربّ العالمين.

The Argumentation in the Interrogative Sentences in the Holy Quran (Practical Models)

Saad Moufaq Saeed Saleh Al – Agaidi

Abstract

The present study, entitled argumentation in building the question sentence in the holy Qur'an, aims at knowing the arguments and their rhetorical styles.

The study starts with an introduction then an analysis of argumentative verses in the holy Qur'an. I will talk about agreements and questions rhetorically as well as the question and its preposition and names.

As for the Quran verses containing argument styles, I will talk about argument and their styles and how they are mentioned by individuals, groups and by Allah The Almighty.

The study concludes that:

1- The interrogative sentence in the holy Qur'an are full of argumentative styles.
2- The nominal and verbal sentence is full of argumentative styles.
3- After reviewing some lexicon, I have discovered that (arguments) have many semantic meanings having the some general linguistics meaning.
4- The verbal interrogative sentence shows continuity and renewal whereas the nominal sentence shows firmness according to the contextual styles of argument in the holy Qur'an.